

الاحتجاج اللغوي
بين النظرية والتطبيق

عاطف فضل
جامعة الإسراء - عمّان

يعد اللحن الباعث الرئيس والأول على جمع اللغة وتدوينها، وتقنين قواعدها "وإنما احتاج القوم إلى الاحتجاج لما خافوا على سلامة اللغة العربية بعد أن اختلط أهلها بالأعاجم إثر الفتوح وسكنوا بلادهم وعاشوهم، ونشأ عن ذلك أخذ وعطاء في اللغة والأفكار والأخلاق والأعراف، وتنبه ألو البصر إلى أن الأمر آيل إلى الفساد في اللغة وضياع العصبية من جهة، وإلى التفريط في صيانة الدين من جهة ثانية" (١).

وبادىء ذي بدء يمكن أن نحصر المصادر التي استقى منها اللغويون مادتهم بـ: القرآن الكريم، وهو أعلى درجات الفصاحة، وخير ممثل للغة، ومن هنا لم نر أحداً وقف منه موقفاً فيه أدنى شك أو ارتياب، بل وقفوا منه في الغالب موقفاً موحداً وقبلوا كل ما جاء فيه، يقول الراغب الأصفهاني "ألفاظ القرآن الكريم هي لب كلام العرب وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتمد الفقهاء والحكماء وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء، وما عداها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب ثمره" (٢).

أما الحديث النبوي الشريف فبين النحاة خلاف كبير حول الاحتجاج به، إذ انقسم النحاة إلى ثلاثة أقسام كل يرى ويتجه وجهة، وهذه الأقسام هي (٣):

– المانعون: أبو الحسن بن الضائع (توفي ٦٨٠ هـ)

أبو حيان الأندلسي (توفي ٧٤٥ هـ)

– المجيزون: ابن مالك الأندلسي (توفي ٦٧٢ هـ)

– المتحفظون: أبو إسحاق الشاطبي (توفي ٧٩٠ هـ)

(١) أصول النحو، سعيد الأفغاني ص ٦.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٥.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر: النحاة والحديث النبوي الشريف، حسن موسى الشاعر.

وأما كلام العرب فهم من يوثق بفصاحتهم وسلامة عربيتهم. وكلام العرب قسمان، شعر ونثر. والاحتجاج بالشعر أكثر من الاحتجاج بالنثر؛ ومرد ذلك أن الشعر يمثل ديوان العرب فهو قمة كلامهم في البداية والحاضرة. ويمتاز بسهولة الحفظ لإيقاعاته.

وقد اتفق العلماء في العصور الأولى لجمع اللغة واستنباط قواعد النحو على تقسيم من يؤخذ عنهم ممن يجوز الاستشهاد بأشعارهم والاحتجاج بها وفقاً لعاملين هما: العامل المكاني والعامل الزمني.

أما العامل المكاني فقد ارتبطت فصاحة اللغة في أذهان اللغويين والنحاة بالبقعة الجغرافية التي صدرت عنها هذه اللغة أو ذلك الشعر، وقد اشترطوا - نظراً لهذا العامل - أنه لا يجوز الاستشهاد أو الاحتجاج بكلام غير كلام العرب البداءة المعزولين عن بقية الشعوب التي تسكن الحاضرة أو تتكلم بغير العربية، وحثتهم في هذا ضمان نقاء لغة هؤلاء، وعدم تسرب اللحن إليهم؛ لأن الاحتكاك عامل من عوامل تفشي اللحن وتسرب العجمة من لغة إلى أخرى، فكلما كانت البقعة الجغرافية موعلة في الجزيرة العربية بعيدة عن أي طرف حضاري كانت لغتها أسلم وشعرها أفصح.

وقد غالى أبو عبيدة في الإلحاح على أعرابية هؤلاء الذين كان يروي عنهم ويستشهد بفصاحتهم، يقول أبو حاتم السجستاني: إن أبا عمر الجرمي قال - وقد جاء أبا عبيدة بشيء من كتابه مجاز القرآن -: عمّن أخذت هذا يا أبا عبيدة؟ فإن هذا خلاف تفسير الفقهاء. فقال لي: هذا تفسير الأعراب البوالين على أعقابهم، فإن شئت فخذهُ وإن شئت فذرهُ" (١). وأكد العامل المكاني ابن جني في الخصائص بقوله: "وعلة امتناع الأخذ عن أهل المدر كما يؤخذ عن أهل الوبر، ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد" (٢).

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، ص ١٧٦.

(٢) الخصائص ابن جني، ج ٢، ص ٥.

وبناءً على ذلك اشترط العلماء الأخذ عن قبائل معينة تسكن مواقع معزولة عن مجالات التأثير من الأمم الأخرى المجاورة لها، وهذه القبائل هي: قيس، وأسد، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، وتميم. إن أسماء هذه القبائل وردت في كتاب الألفاظ والحروف للفارابي، ولا نعرف - في حدود علمي - أحداً ذكرها عن غير هذا الطريق، ولي وقفة مطولة مع كتاب الألفاظ والحروف، وأخرى مع النص الذي ورد، لأنه بحاجة إلى مناقشة مطولة ويعول عليه أشياء كثيرة أيضاً، وهذه قضية رئيسة في البحث.

فقد اعتمد على نص الفارابي - ولا أكون مبالغاً - أكثر من تسعين بالمئة من الباحثين في تقرير قضية الاحتجاج بالقبائل سالفه الذكر، وهؤلاء بدورهم اعتمدوا النص عن طريق السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابيه المزهرة والاقتراح - مع اختلاف طفيف في النص بين الكتابين - ومن قبله ذكر عند أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في تذكرة النحاة.

وقد جاء النص عن السيوطي مطابقاً تماماً لنص أبي حيان في التذكرة " وجد بخط أبي نصر محمد بن محمد الفارابي كتاب وصفه وسماه كتاب الألفاظ والحروف، وكان أوله: كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عمّا في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ، ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا من سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لحم ولا من جذام مجاورتهم أهل

مصر والقبط، ولا من قضاة، ومن غسان، ولا من إباد، فإن هؤلاء كانوا مجاورين لأهل الشام ومخالطين لهم، وكان أكثرهم نصارى يقرأون في صلواتهم بغير العربية، ولا من تغلب، والنمر، فإنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ومخالطين لهم، ولا من أزد عُمَان لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم، ثم لمخالطتهم للفرس بعد أن لحق هؤلاء فيهم، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء، وأثبتها في كتاب وصيّرهما علماً وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط بين أمصار العرب، وكانت صنائع هؤلاء التي بها يعيشون الرعاية والصيد واللصوصية، وكانوا أقواهم نفوساً وأقساهم قلوباً وأشدهم توحشاً وسبعية، وأمنعهم جانباً، وأشدهم حمية، وأحبهم لأن يغلبوا، وأن لا يُغلبوا، وأعسرهم انقياداً للملوك وأجفاهم أخلاقاً، وأقلهم احتمالاً للضيم والذلة".

هذه الإشارة للنص وردت عند أبي حيان في التذكرة، وعند السيوطي في المزهري والاقتراح بالفاظها وحروفها في الكتابين^(١).

أما نسبة الكتاب الذي وردت فيه هذه الإشارة فقد نُسب الكتاب لعلم هو أبو نصر الفارابي. فمن هو أبو نصر الفارابي؟ وبالعودة إلى كتب التراجم ظهر لنا ما يلي: جاء في الأعلام للزركلي قوله: "هو محمد بن محمد بن طرخان أوزغ أبو نصر الفارابي" وقد نسب له صاحب الأعلام ديوان الأدب ولم يذكر أن له كتاب الألفاظ والحروف وهو عنده أبو نصر الفارابي الفيلسوف^(٢).

(١) تذكرة النحاة، أبو حيان الأندلسي، ص ٥٧٣، المزهري علوم العربية، السيوطي ص ٢١١.

(٢) الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ٧، ص ٢٤٢.

وبالعودة إلى ديوان الأدب بتحقيق أحمد مختار عمر نراه يقول "الفارابي هو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، ومؤلفاته هي ديوان الأدب، بيان الإعراب، شرح أدب الكاتب، وهناك كتاب آخر نسب إليه هو الألفاظ والحروف"^(١). وجاء في مقدمة كتاب ديوان الأدب: "وترجع قيمة الكتاب - الألفاظ والحروف - إلى أن صاحبه يُعدّ به أول من وضع قائمة تفصيلية محددة للقبائل التي يُستشهد بها، والقبائل التي لا يُستشهد بها وهي القائمة التي نقلها السيوطي في الزهر وتداولها الباحثون بعده"^(٢).

ويؤكد ما ذهب إليه أحمد مختار عمر - محقق ديوان الأدب - كثير من أصحاب التراجم، فصاحب معجم البلدان يقول: إنَّ أبا نصر الفارابي هو الفيلسوف وليس صاحب ديوان الأدب، وصاحب الثاني هو أبو إبراهيم الفارابي^(٣). وإلى ذلك ذهب كل من ابن الأثير^(٤)، وحاجي خليفة^(٥)، وعمر كحالة^(٦).

فقد أكد هؤلاء أنَّ أبا إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي هو صاحب كتاب ديوان الأدب، ولم يذكروا له الألفاظ والحروف كما ذهب إبراهيم أنيس. وفي ترجمة الجوهري "أخذ عن خاله أبي يعقوب الفارابي صاحب ديوان الأدب" وفي الحاشية في الصفحة ذاتها يقول: "إنَّ أبا نصر الفارابي حكيم وفيلسوف لا لغوي، وأمَّا ديوان الأدب فهو لأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الفارابي خال الجوهري"^(٧).

وذكر صاحب الفهرست أنَّ أبا نصر الفارابي هو الفيلسوف ولم يذكر له كتاب

(١) ديوان الأدب، فتح أحمد مختار عمر، ج ١، ص ٨.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٨.

(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، مادة فاراب.

(٤) اللباب، ابن الأثير، مادة فاراب.

(٥) كشف الظنون، حاجي خليفة، ص ٤٨.

(٦) معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج ٢، ص ٢٢٧.

(٧) نزهة الألباء، ابن الأنباري، ص ٢٥٢.

الأدب، ولا علاقة له باللغة والأدب^(١). وفي ترجمة أبي نصر الفارابي في كتاب تاريخ فلاسفة الإسلام نراه يتحدث عن الفارابي بإسهاب كبير لكنه لم يذكر له أي نوع من كتب الأدب أو أدنى علاقة له بالأدب واللغة، وذكر كتبه فكانت في الفلسفة والطبيعات لا في اللغة والأدب، ولم يذكر له كتاباً في الأدب أو اللغة ولا حتى في المنسوب إليه، واسمه عنده محمد بن محمد بن طرخان أوزلغ أبو نصر الفارابي^(٢).

ويبدو من استعراض تلك الآراء أنّ نسبة الكتاب محفوظة بالشك، ويكتنفها الغموض؛ لأننا أمام ثلاثة أشخاص هم: أبو نصر الفارابي، وأبو إبراهيم الفارابي، وأبو يعقوب الفارابي.

فالخلاف حاصل حول الكتاب - الألفاظ والحروف - مع العلم أنه لم يصل إلينا كتاب الألفاظ والحروف والذي وصل هو كتاب الحروف بتحقيق محسن مهدي ونسبته لأبي نصر الفارابي، كما حقق محسن مهدي كتاب الألفاظ لأبي نصر الفارابي الذي نشر عام ١٩٦٩، ولكننا عند البحث لم نجد النص فيه، وليس معنى ذلك أنّ هذا النص لم يصدر عن أبي نصر الفارابي فالكتاب الذي رجع إليه السيوطي ونقل عنه كان باسم الألفاظ والحروف^(٣).

وبمقابلة هذه النصوص التي أماننا نقول: لقد أجمعت هذه النصوص على أنّ أبا نصر الفارابي هو فيلسوف وحكيم ولا علاقة له بالأدب واللغة، وثبت أنّ كتاب ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، ومحققه أحمد مختار عمر. وأمّا قول ابن الأنباري بأنّ أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم الفارابي هو صاحب ديوان الأدب فنحن إزاء هذا أمام احتمالين، الأول منهما أنّ يكون ابن الأنباري قد اخطأ

(١) الفهرست، ابن النديم، ص ٣٢٢.

(٢) تاريخ فلاسفة الإسلام، محمد لطفي جمعة، ص ١٣، ٥٣.

(٣) شواهد النحو الشعرية منهجها ومصادرها، حنا حداد، هامش ص ٥٢.

في كنية الرجل، فقال "أبا يعقوب" بدلاً من أبي إبراهيم، والذي يبدو أن صاحب ديوان الأدب هو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، وحجتنا في هذا أن ابن الأنباري قد تفرد في هذا الخبر، في حين عزز كثير من أصحاب التراجم نسبه لأبي إبراهيم. وأمّا الاحتمال الثاني فهو أن يكون ديوان الأدب كتاباً آخر لرجل آخر هو أبو يعقوب، لعلمنا أن كثيراً من أسماء الكتب تتشابه عند القدماء.

من ثم فإنّ هذا الرجل -أبا إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي- ليس له علاقة بكتاب الألفاظ والحروف بدليل أن نسبة الكتاب - كما نص عليها أبو حيان والسيوطي - لأبي نصر الفارابي، ومع علمنا أن أبا نصر الفارابي فيلسوف لا علاقة له بالأدب أو اللغة - كما نص على ذلك الذين ترجموا حياته - فيكون كتاب الألفاظ لأبي نصر الفارابي وهو رجل آخر غير الفيلسوف.

ومما يؤكد هذا عندي أننا لا نجد في كتابي الألفاظ والحروف اسماً صريحاً لأبي نصر الفارابي، لكننا نجد الألفاظ لأبي نصر الفارابي، والحروف لأبي نصر الفارابي. ولا يوجد كذلك في كتاب الألفاظ أيّ ذكر للقبائل والاحتجاج بها، في حين وُجد في كتاب الحروف نص يتحدث فيه أبو نصر الفارابي عن القبائل التي أخذت عنها اللغة، وهو مخالف لما ورد عند أبي حيان في التذكرة وعند السيوطي في المزهر والاقتراح.

ويعلق محسن مهدي - محقق كتاب الحروف - على كلام السيوطي بعد قوله: وقال أبو نصر الفارابي في كتابه المسمى بالألفاظ والحروف يقول المحقق محسن مهدي: "والظاهر أن ما يأتي بعد هذه العبارة هو تلخيص ما قاله الفارابي مع أشياء أضافها السيوطي من عنده" (١).

وفي ظني أن محسن مهدي قد أصاب الحقيقة بقوله هذا، ولكن الأمر أن يوجّه

(١) الحروف، أبو نصر الفارابي، ص ٤٠.

الاتهام إلى أبي حيان صاحب التذكرة؛ لأنه أسبق من السيوطي، فأبو حيان هو الذي لخص النص وأضاف أشياء من عنده للسبق الزمني عن السيوطي، ونحن نعلم أنّ السيوطي جماعة، فهو ينقل بدقة وقد نقل النص عن أبي حيان من تذكرة النحاة، فجاء النص عندهما وقع الحافر على الحافر.

وعذر محسن مهدي في قوله السابق - إذ وجّه أصابع الاتهام إلى السيوطي - أنّ تذكرة النحاة لم تحقق إلا في فترة متأخرة عن تحقيق كتاب الحروف، فظن محسن مهدي أنّ السيوطي وحده الذي نقل النص ولخصه على الكيفية التي يريد.

ويترتب على هذا أيضاً أنّ النص فيه إساءة كبيرة للقبائل التي استشهد بلغتها، والنص كما ورد في كتاب الحروف هو "ولما كان سكان البرية في بيوت الشعر أو الصوف والخيام من كل أمة أجفى وأبعد من أن يتركوا ما قد تمكن بالعادة فيهم، وأحرى أن يحصنوا نفوسهم عن تمثل حروف سائر الأمم وألفاظهم وألسنتهم عن النطق بها، وأحرى أن لا يخالطهم غيرهم من الأمم للتوحش والجفاء الذي فيهم، وكان سكان المدن والقرى وبيوت المدر منهم أطبع وكانت نفوسهم أشدّ انقياداً لتفهم ما لم يتعودوه ولتصوره ولتخيله، وألسنتهم بالنطق بما لم يتعوده كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمة عن سكان البراري منهم حتى كانت الأمم هاتين الطائفتين.

ويتحرى منهم من كان في أوسط بلادهم، فإنّ من كان منهم أحرى أن يخالطوا مجاورهم من الأمم فتختلط لغاتهم بلغات أولئك، وأنّ يتخيلوا عجمة من يجاورهم فإنهم إذا عاملوهم احتاج أولئك أن يتكلموا بلغة غريبة عن ألسنتهم فلا تطاوعهم على كثير من حروف هؤلاء فيلتجأوا إلى أن يعبروا بما يتأتى لهم ويتركوا ما يعسر عليهم فتكون ألفاظهم عسيرة وقبيحة وتوجد فيها لكنة وعجمة مأخوذة من لغات أولئك، فإذا كثر سماع هؤلاء ممن جاورهم من هذه الأمم وتعودوا أنّ يفهموه على أنّه من الصواب لم يؤمن تغيير عاداتهم، فلذلك ليس ينبغي أن تؤخذ

عنهم اللغة ومن لم يكن فيهم سكان البراري أخذت عن أوسطهم مسكنا . وأنت تتبين ذلك متى تأملت أمر العرب في هذه الأشياء، فإن فيهم سكان البراري وفيهم سكان الأمصار . وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مائتين . وكان الذي تولى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة . فتعلموا لغتهم والفصح منها من أوسط بلادهم ومن أشدهم توحشاً وأبعدهم إذعائاً وانقياداً وهم : قيس، وتميم، وأسد، وطيبىء، ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنهم لسان العرب . والباقون لم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المحيطة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر" (١) .

بعد أن تحدثنا عن نسبة الكتاب، والشكوك التي حامت حوله ننتقل للحديث عن نص الفارابي لنصل إلى حقيقة ما يقوله من قصر الاحتجاج على قبائل معينة ذكرت في النص . يقول الفارابي : "كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ" . ولنا أن نتساءل لماذا كانت قريش أجود العرب؟؟ يجيب ابن فارس بقوله : "أجمع علماؤنا بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أفصح العرب السنة وأصفاهم لغة؛ ذلك لأن الله تعالى اختارهم من جميع العرب، واختار منهم محمداً ﷺ، فجعل قريشاً قطان حرمه وولاية بيته؛ فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم؛ فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب" (٢) .

(١) الحروف، أبو نصر الفارابي، ص ١٤٦ .

(٢) الصاحبي، ابن فارس، ص ٥٢ . وانظر المزهري، ج ١، ص ٢٠٩ .

وساد الاعتقاد عند كثير من الباحثين والدارسين من القدماء والمحدثين بأن لغة قريش هي اللغة العربية الفصحى . يقول ابن جني : " ارتفعت قريش بلغتها عن عننة تميم، وتلتله بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس وعجرفية ضبه" (١) .

وأكد الفراء ذلك بقوله : " كانت العرب تحضر الموسم في كل عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات جميع العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا بذلك أفصح العرب" (٢) .

من هنا نقول : إن ظروفًا وعوامل كثيرة تضافرت لتؤكد فصاحة قريش، وإن لغتها هي الفصحى . وهذه العوامل والظروف هي :

– ظروف قريش السياسية والدينية والاقتصادية التي لم تتوفر لغيرها من قبائل العرب .

– لغة قريش هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ليدرك أسراره كل الناس في الجزيرة العربية، لخلوها من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ .

– لأن الرسول ﷺ من قريش وقد قال : " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر .

أما العامل الأول وهو المكانة السياسية والاقتصادية والدينية فلا ينكر هذا إنسان ولا يماري فيه عاقل . وأما العامل الثاني وهو أن قريشاً قمة الفصاحة بسبب نزول القرآن فيها، وهذه لعمرى قضية كبيرة، فإذا استطعنا أن نثبت أن القرآن الكريم نزل أكثر لغته بلسان قريش - والقرآن رأس الفصاحة - تكون قريش هي قمة الفصاحة، وهذا متعذر إثباته الآن؛ لأننا بحاجة إلى استقرار تام وكامل للغات القبائل في

(١) الخصائص، ابن جني، ج ٢، ص ١١ .

(٢) الاقتراح، السيوطي، ص ١٨٩ .

القرآن الكريم، والذي يبدو أنّ لغة القرآن الكريم هي أصل اللغة العربية ومن مجموع لغات القبائل بنسب متفاوتة قد تكثرت أو تقلت، وأنّ العربية الفصحى ليست لغة قبيلة دون أخرى من العرب، بل هي مجموع لغات القبائل العربية مجتمعة، "ومهما يكن من أمر فإنّ هذه الآراء التي تذهب إلى أنّ لغة قريش هي اللغة المشتركة الفصحى لا تقوم على أساس لغوي علمي صحيح؛ لأننا لا نستطيع أن نحكم على لغة من اللغات من الرواة عنها؛ وخاصة أنّ هذه الأقوال ينبغي أن نأخذها بقدر كبير من الحيطة والحذر لأنّها - كما نحسب - لم تصدر إلا عن تمجيد لقبيلة الرسول ﷺ" (١).

وأما العامل الثالث وهو حديث الرسول ﷺ أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فإنّ القول فيه طويل بعض الشيء؛ لأننا نرتب عليه نتيجة هامة.

ورد الحديث بروايات مختلفة منها: أخبرنا محمد بن عمر الواقدي أخبرنا زكريا بن يزيد السعدي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أعربكم، أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر" (٢). وهذه رواية ابن سعد عن شيخه، وقد ردّ علماء الحديث ما جاء عن الواقدي.

ورواية ثانية حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي، حدثنا حيوة بن شريح عن مبشر عن ابن عبيد عن الحجاج بن أرطاة عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا أعرب العرب ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فأنتي يأتيني اللحن" (٣). قال صاحب مجمع الزوائد: "فالحق أنّه حديث مسلسل

(١) فقه اللغة في الكتب العربية، عبد الراجحي، ص ١١٩.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ص ١١٣.

(٣) المعجم الكبير، للحافظ الطبراني، ج ٦، ص ٣٥.

بالضعفاء والمتروكين والمدلسين، ولكن البلاء من مبشر إذ اتهمه أحمد بالوضع، فهو حديث موضوع" (١).

ورواية ثالثة "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأنني نشأت في بني سعد بن بكر" وهي رواية وردت عند السيوطي" (٢).

ورواية رابعة "أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش، واسترضعت في بني سعد ابن بكر" (٣).

هذه روايات للحديث عن طرق مختلفة الأولى والثانية ردتا في علة تقدح في سلسلة الرواة وأما الثالثة والرابعة فهما رواية واحدة والذي يهمننا منها عبارة (بيد أني من قريش).

تناول القدماء والمحدثون هذا الحديث ليقيموا عليه نتيجة مفادها أن قريشاً أفصح العرب، تناولوه قضية مسلماً بها دونما تمحيص من حيث صحته أولاً، ومعنى كلمة بيد ثانياً. أما من حيث صحة الحديث فقد جاء في المقاصد الحسنة (٤) وكشف الخفاء (٥) أن معناه صحيح ولكن لا أصل له.

أقول: أما صحة معناه فلا ممارسة فيها فإن النبي ﷺ كان أفصح العرب بأدلة منها قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ (٦). ووجه الاستدلال أن المبين لا من مقارنة ألفاظه للمتبين. والمبين هو كتاب الله تعالى، والمبين هو الرسول ﷺ فلا بد أن يقاربه في الفصاحة والبيان.

(١) مجمع الزوائد، الحافظ نور الدين الهيثمي، المجلد ٤، ج ٨، ص ٢١٨.

(٢) المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٢١٠.

(٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، ج ١، ص ١٠٦.

(٤) المقاصد الحسنة، شمس الدين السخاوي، ص ٩٥.

(٥) كشف الخفاء، إسماعيل بن محمد الجراحي، ج ١، ص ٢٠٠.

(٦) الآية ٤٤ من سورة النحل.

أمّا من حيث موقف اللغويين والنحويين منه فقد استشهد به ابن هشام في حرف الباء " بيداً " بمعنى من أجل^(١). وأمّا ابن مالك فخرّجها على معنى: غير^(٢).

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهن فلولاً من قراع الكتاب
وأنشد أبو عبيدة على مجيئها بمعنى من أجل^(٣):

عمداً فعلت ذلك بيداً أنّي أخاف إن هلكت أن ترني

وقال صاحب اللسان بيداً بمعنى غير؛ يقال: رجل كثير المال بيد أنه بخيل. معناه غير أنه بخيل، حكاه ابن السكيت؛ وقيل: هي بمعنى على، حكاه أبو عبيدة قال ابن سيده: والأول أعلى^(٤).

ويتابع ابن منظور بعد أن ذكر حديث النبي - عليه السلام - " أنا أفصح العرب . . . " يقول وفي حديث آخر " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم " قال الكسائي: قوله بيداً معناه غير، وقيل: معناه على أنهم، وقد جاء في بعض الروايات بايداً أنهم؛ قال ابن الأثير: ولم أره في اللغة بهذا المعنى^(٥).

وتمام كلام ابن الأثير في بيداً " بيداً بمعنى غير في حديث رسول الله ﷺ أنا أفصح العرب بيداً أنّي من قريش. وفيه الحديث الآخر: بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، قيل: معناه على أنهم، وقد جاء في بعض الروايات: بايداً أنهم ولم أره في

(١) مغني اللبيب، ابن هشام، ج ١، ص ١١٤.

(٢) شرح شواهد المغني، السيوطي، ص ١/٣٤٩. وانظر الصاحب، ابن فارس، ص ٢١١ / معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/٣٢٥.

(٣) شرح شواهد المغني، السيوطي، ص ١/٣٥٢.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، بيداً.

(٥) المصدر السابق.

اللغة بهذا المعنى . وقال بعضهم : أنها بأيد ، أي بقوة ، ومعناه : نحن السابقون إلى الجنة يوم القيامة بقوة أعطناها الله وفضلنا بها^(١) .

وأما قوله ﷺ : " نحن الآخرون والسابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا " حديث ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وهو في اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان^(٢) .

واستشهد به ابن هشام في حرف الباء " بيد " وذلك على أنه اسم ملازم للإضافة إلى أن وصلتها ، ومعناه غير ، إلا أنه لا يقع مرفوعاً ولا مجروراً بل منصوباً . ولا يقع صفة ولا استثناء متصلاً ، إنما يستثنى به في الانقطاع خاصة ومنه الحديث الشريف^(٣) .

وقال القاضي عياض في معنى بيد بهذا الحديث : إنها بمعنى غير ، وقيل : إلا ، وقيل : على ، وتأتي بمعنى أجل . ومنه في قوله في الحديث الآخر " بيد أنني من قريش " أي من أجل ، وهو بعيد^(٤) .

وقال ابن مالك في اسمية بيد ، وفي لزومها للإضافة " والمختار عندي في بيد أن يجعل حرف استثناء ، ويكون التقدير : إلا أمة أوتوا الكتاب من قبلنا ، على معنى لكن ، لأن معنى إلا مفهوم منها ، ولا دليل على اسميتها^(٥) وفي هذا مخالفة لابن هشام .

وقال : بيد بمعنى غير ، والمشهور استعمالها متلوّة (ب أن) ، وقد استعملت على خلاف ذلك - أي على خلاف المشهور - فوقع في طرق الحديث : نحن الآخرون السابقون بيد كل أمة أوتوا الكتاب من قبلنا^(٦) .

(١) النهاية في غريب الحديث والآثر، ابن الأثير، ج ١/ ١٧١ .

(٢) صحيح البخاري، البخاري (كتاب الجمعة باب فرض الجمعة) ، ج ١ ، ص ١٥٧ / صحيح مسلم، الإمام مسلم، مجلد ٢ ، ج ٣ ص ٥٨٦ . وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان، المجلد الأول ١ / ١٦٦ .

(٣) المغني، ابن هشام، ج ١ / ١١٤ .

(٤) مشارق الأنوار، القاضي عياض، ج ١ / ١٠٦ .

(٥) شواهد التوضيح، ابن مالك، ص ١٥٤ .

(٦) المصدر السابق .

ويبدو - من خلال تلك الآراء السابقة - أن ثمة تعسفاً واضحاً في تأويل الحديث الشريف ليثبتوا فصاحة الرسول - عليه السلام - بسبب انتمائه لقريش، وإن فصاحته - عليه السلام - لا تأتي لأنه من قبيلة قريش أو غيرها، بل لأن الله وضع فيه مقومات الرسالة كاملة و"إن الدارس للأثر لا يستطيع أن يثبت أن فصاحة الرسول الكريم تأتت من أنه لم يكن كسائر الناس بل هو فوقهم فصاحة وعقلاً وذكاء"^(١). ونجد كذلك أن جل الآراء تجمع على أن بيد بمعنى: غير وأما الآراء الأخرى ففيها تعسف ظاهر "رغبة في إكبار قريش ليقولوا إن لغتهم أفصح اللغات، وبسبب هذا كان الرسول - عليه السلام - أفصح العرب". فحق في بيد أن تفهم على وجهها الصحيح بمعنى غير. وعلى هذا المفهوم - إن صح الحديث يقيناً - بيد بمعنى غير تخرج قريش من مرتبة الفصاحة. ويظهر بعد ذلك وجود مؤشرات كثيرة تدل على صحة معنى الحديث كما سبق، وقد صح ما دل على فصاحة النبي ﷺ منها حديث النبي ﷺ المتفق على صحته من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ "بعثت بجوامع الكلم"^(٢) وقد ورد بلفظ "أعطيت جوامع الكلم"^(٣). ولفظ "أوتيت جوامع الكلم". ووجه الاستدلال إنما هو في بيان المراد من "جوامع الكلم" فمن قصر ذلك على القرآن الكريم وقال بأن المراد بجوامع الكلم كتاب الله تعالى فلا احتجاج له. والذي يبدو أن المراد بجوامع الكلم: القرآن والسنة. وهذا مفض إلى علو فصاحة النبي ﷺ ثم إن تمام الفصاحة من مكملات الرسالة، بل من لوازمها ألم يقل موسى - عليه السلام - "وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني"؟ فأرسل الله هارون لبيانه وفصاحته.

(١) العربية بين أمسها وحاضرها، إبراهيم السامرائي، ص ٥٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٧/١٢ حديث رقم (٧٠١٣) ١٣/٣٠٣ حديث رقم (٧٢٧٣) وصحيح مسلم (٣٧١/١).

(٣) المصدر السابق ٤٨٧/١٢ حديث رقم (٦٩٩٨) / صحيح مسلم (٣٧١/١).

ثم هل هذه الفصاحة مكتسبة أم موهوبة؟ الخلاف بين الدارسين فبعضهم يرى أن فصاحته ﷺ موهوبة، وآخرون يرون أنها مكتسبة. والصحيح أنه اجتمع في فصاحته ﷺ الأمران: الهبة والاكْتساب. وجماهير علماء اللغة على أن بيد بمعنى غير في الغالب. وتأتي بمعنى (على) و (مع) على الأقل كما تقدم بيانه، فعليه تكون قريش قد خرجت من مرتبة الفصاحة؛ لأنها قمة الحضارة والتأثر بالأمم الأخرى مما يجعلها تفقد كثيرا من خصائصها اللغوية، شأنها في ذلك شأن القبائل التي استثنت من الاحتجاج، ومن هنا فلا يجوز أن تختص قريش بامتياز عن مثيلاتها من القبائل المتأثرة بالحضارة.

ثم يتحدث نص الفارابي عن بقية القبائل التي أخذ عنها بقوله: " وعنهم أخذ اللسان العربي من قبائل العرب وهم: قيس، وتميم، وأسد؛ فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف؛ ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائل العرب، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم؛ فإنه لم يؤخذ لا من لحم ولا من جذام، لمجاورتهم أهل مصر....." (١).

في هذا النص يحدد القبائل التي أخذ عنها اللسان العربي، وهي القبائل التي لم تتأثر بمظاهر الحضارة، وأما نص الفارابي في كتاب الحروف فقد ذكر قيس، وأسد، وتميم، وطبي، ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم ما نقل عنه لسان العرب... (٢).

ومن مقابلة النصين - نص الفارابي في كتاب الزهر، ونص الفارابي في كتاب الحروف - يظهر أن كتاب الحروف لم يذكر قريشاً، في حين ذكرها أبو حيان والسيوطي في نصهما المنقول وأسهباً في الحديث عنها، ثم نجدهما قد ذكرا بعض

(١) الزهر، السيوطي، ج ١، ص ٢١٢.

(٢) الحروف، الفارابي، ص ١٤٦.

الطائيين، ونص كتاب الحروف يذكر طيئاً، ثم ذكر بعض كنانة، ونص الفارابي في الحروف لم يذكر كنانة. وهذا يؤكد وجود تلاعب في النص أو قل صياغة جديدة مشوهة لقبائل الاحتجاج. وفي ظني أن محقق كتاب الحروف قد أصاب كبد الحقيقة بقوله - تعليقاً على نص السيوطي - والظاهر أن ما يأتي بعد هذه العبارة - أي قول السيوطي وقال الفارابي في أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف - هو تلخيص ما قاله الفارابي مع أشياء أضافها السيوطي من عنده^(١). نعم لقد أصاب المحقق بقوله ذلك، ولكن عندي أن يوجه هذا الاتهام لأبي حيان صاحب التذكرة، للسبق الزمني على السيوطي، فأبو حيان هو الذي لخص النص وأضاف أشياء من عنده، ونحن نعلم أن السيوطي جماعة فهو ينقل بدقة وقد نقل النص عن التذكرة لأبي حيان، ولم يُشر إلى هذا النقل، فجاء النص عندهما وقع الحافر على الحافر، وعذر محقق كتاب الحروف في قوله السابق أن تذكرة النحاة لم تحقق إلا في وقت متأخر. كما أجد تعارضاً آخر في نص السيوطي الذي يذكر قريشاً أنها أفصح العرب للأسباب التي مرّ ذكرها، ثم يقول: "ولم يؤخذ عن حضري قط" ليت شعري ألم تكن قريش حضرية؟ بل هي قمة الحضارة والمدنية وعرضة للتأثر من الأمم الأخرى، فرحلة الشتاء والصيف - سطرها القرآن الكريم - للشام والهند وغيرهما ثم هي مركز ديني وسياسي واقتصادي في الجاهلية والإسلام فحضارة قريش لا يماري فيها إنسان "فقريش كانت تسكن مكة وما حولها، وهم أهل تجارة، والتجارة تؤدي إلى الاختلاط، والاختلاط يفسد اللغة على حدّ زعمهم، فعلام التفريق إذن بين قريش وتلك القبائل التي اتهمت فصاحتها؟ ولم أخذوا عن قريش ورفضوا الأخذ عن غيرها ممن وجد في حالة مشابهة لحالتها؟"^(٢).

(١) الحروف، الفارابي، ص ٤٠.

(٢) البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص ٥١.

وإذا أخذنا قبيلة تميم على سبيل المثال، التي أجمع النحاة على الاستشهاد بها، فهل يُعقل أن تكون هذه القبيلة قد ضريت حول نفسها حصاراً حديدياً بحيث لا يسمح لغريب بالدخول في ديارها، أو فرد من أفرادها أن يخرج إلى ديار الحضرم؟ ثم أين تسكن تميم من الحضرم؟

من المشهور عن القبائل العربية في الجاهلية أنها قبائل متنقلة من مكان لآخر حسب الظروف التي تمر بها القبيلة، فلا تكاد تستقر في موطن وتلم شتاتها وتنظم نفسها حتى تهب عليها ظروف وأسباب تجبرها على الرحيل والتنقل، طلباً للماء والكلاء، أو نتيجة للمنازعات القبلية، وهذا ما يحدثنا به الإخباريون، فالقبيلة دائمة التنقل وهي من ثم عرضة للاحتكاك بأمم أخرى كثيرة "مع أن هذا الاختلاط لم يكن منظماً في معظم أحواله، إلا أنه كان معروفاً وأن سبله التي كانت تؤدي إليه عديدة منها:

– وجود المناذرة في الحيرة والغساسنة في الشام، فقد كان اتصال هاتين الدولتين بالفرس والروم من جانب والجزيرة العربية من الجانب الآخر اتصالاً وثيقاً فكانتا قناتين كبيرتين لتسرب الحضارة إلى الجزيرة العربية.

– الطرق التجارية المنظمة التي كانت تتخلل صحراوات بلاد العرب، وتلك المواثيق والعهود التي كانت تربط العرب بالقوافل لقاء جعل يوقع لهم.

– هذه الأسواق العربية والمواسم التي كانت تقام في أطراف الجزيرة العربية حيناً وفي قلبها حيناً آخر يؤمها العرب من مختلف بقاعهم، ويؤمها التجار الفرس والهنود وغيرهم يلتقون في صعيد واحد يأخذون ويعطون.

– هذه الجاليات الأجنبية التي كانت مختلفة الأديان والأجناس، والتي قامت في الجزيرة العربية تقيم فيها وتطيل وتتخذها موطناً لها تقضي فيها حياتها.

– الجماعات والعرب أنفسهم الذين كانوا يفدون على فارس وبلاد الروم

والحبشة ومصر للتجارة حيناً والتعرض للعباء حيناً آخر" (١).

ومن هنا نقول: "إنَّ تنقل القبائل العربية في جزيرة العرب واختلاطها بغيرها من الأمم الأخرى لا سبيل لإنكاره أو الشك فيه ومن يتحدث بغير هذا يعدُّ قبائل العرب متحجرة متفوقة على نفسها في مساحة ضئيلة تموت وتحيا فيها وهذا منافٍ للعقل" (٢).

فقبيلة تميم من القبائل العربية التي امتلأت منهم البلاد، ومنهم كعب بن سعد ابن زيد مناة، وحنضلة بن مالك بن زيد مناة وهم البراجم، وبنو دارم، وبنو زرارة ابن معد، وبنو أسيد (٣). وتنزل تميم في المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية بأرض نجد، وقد وصفت بأنها "مفاوز وصحارى لا يهتدي لمشاكلها. وماؤها من الأبار. لكننا لا نجد تحديداً دقيقاً لمواقع تميم ومنازلهم في كتب البلدان والتاريخ، فقد ورد أن بلادهم بأرض نجد دائرة من هناك على البصرة واليمامة وامتدت إلى العذيب وأرض الكوفة، ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر ونزلوا ما بينها وما بين اليمامة، ووقعت طائفة منهم إلى عُمان. وخالطوا عامر بن عبد القيس في بلادهم قطر، وامتدت منازلهم إلى البحرين، فلما جاء الإسلام عادت هذه وتجمعت في اليمامة، وكانت قوافل التجارة بين بلاد فارس وجنوب الجزيرة العربية تمر ببلاد تميم وحدثت وقعات بين تميم والفارس وكانت العلاقة بين تميم والفارس بين مدّ وجزر، وفي الإسلام أسلمت تميم يوم الفتح (٩ هـ) وانخرطت بالجيوش الإسلامية..... وأن من الممكن أن تكون اللغات الفارسية قد أثرت في لهجة تميم كما يؤكد غالب المطلبي على تأثير لهجة تميم في قيس وأسد وهما أيضاً من قبائل الاحتجاج

(١) شواهد النحو الشعرية، حنا حداد، ص ٦١.

(٢) اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، ص ٨٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٢٢٩.

الرئيسة، ومن شعراء تميم: أوس بن حجر، وعبد بن الطبيب، وعلقمة الفحل، وسلامة بن جندل، ومالك بن نويرة، والسليك بن السلكة، والعجاج ورؤية والفرزدق وجريز، ومنهم أبو عمرو بن العلاء والأخفش الأوسط^(١).

ويظهر من هذا العرض لقبيلة تميم - وهي واحدة من قبائل العرب أنها لم تكن بمعزل عن العالم سواء من القبائل العربية في الجزيرة العربية، أو مع الأمم الأخرى كالفرس مثلاً، فعبثاً يحاول المحاولون تصور بيئة لغوية خالصة، وعلى غير طائل يسعى الساعون لتعقب الفصاحة خالصة من كل شائبة، فعلم اللغة الحديث لا ينفك يؤكد أنه لا بدّ من تداخل اللغات بعضها في بعض لعامل من العوامل المدونة كالتجارة، والغزو، والهجرة، ولم يكن المجتمع العربي ولا سيما المجتمعات البدوية مجتمعاً متفوقاً ليحافظ على نقاء لغته نقاءً لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه^(٢).

ويلاحظ كذلك أنه لا يوجد إجماع بين اللغويين والنحويين على قبائل معينة للاحتجاج بلغتها، والدليل على هذه، ذاك التفاوت في أسماء القبائل بين نص السيوطي وأبي حيان من ناحية، وكتاب الحروف من ناحية أخرى، كما أننا نجد علماء آخرين يذكرون قبائل غير تلك التي ذكرت في تلك النصوص، فقد ورد عن أبي زيد الأنصاري قوله: "ما أقول: قالت العرب إلا إذا سمعته من عجز هوازن، وفي رواية إلا إذا سمعته من هؤلاء: بكر بن هوازن، وبني كلاب، وبني هلال، أو من عالية السافلة، أو من سافلة العالية وإلا لم أقل قالت العرب"^(٣).

كما اعتمد ابن مالك لحم وخزاعة وغسان، فتعقبه باللوم أبو حيان وقال: "ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن"^(٤).

(١) انظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب المطلبي، ص ٩ وما بعدها.

(٢) انظر: المنطلقات التأسيسية والفنية في النحو العربي، عفيف دمشقية، ص ٩ وما بعدها.

(٣) الاقتراح، للسيوطي، ص ٢٧.

(٤) انظر: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص ١٨.

وذكر السيوطي رواية عن أبي العباس قال: نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن، وهم الذين يقال لهم عليا هوازن، وهم خمس قبائل أو أربع، منها سعد بن بكر، وجشيم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف^(١). وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه -: اجعلوا المملي من هذيل والكاتب من ثقيف. وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف^(٢).

فلولا ثقة عمر بلغة قريش لما ذكرها ليكون المملي أو الكاتب لكتاب الله منها أميناً على القرآن الكريم، فالسيوطي يذكرها على لسان الخلفاء من قبائل الفصاحة، في حين يستبعد الفارابي في كتاب الحروف. ويرى السيوطي أن الصواب الأخذ بما عرف صحته ولم يظهر فساده، ولم يلتفت إلى احتمال الخلل فيه ما لم يبن. وقال الفراء: "إلا أن تسمع شيئاً من بدوي فصيح تقوله"^(٣). وقال ابن جني: "اللغات كلها حجة"^(٤).

وبعد هذا العرض للعنصر المكاني - وبصرف النظر عن نص الفارابي والشكوك التي أثّرت حوله سواء من حيث نسبة الكتاب، أو من حيث تعارض النص بين الكتب التي ورد فيها، أو من حيث الحديث النبوي الشريف "بيد أنني من قريش" وما اكتنفه من نقاش، فإنّ جلّ الباحثين المعاصرين يرفضون هذا التحديد المكاني، أو التحجيم - إنّ جاز التعبير - القائم على التعسف حيناً أو الالتواء حيناً آخر فإنّ من الظلم حصر اللغة في قبائل معينة من العرب لأسباب واهية أو هي من بيت العنكبوت يتساقط لأقل نسمة هواء، وهكذا أسباب النحاة تتساقط أمام الحقائق.

(١) المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٢١١.

(٢) السابق، ج ١، ص ٢١١.

(٣) الاقتراح، السيوطي، ص ٦٦.

(٤) الخصائص، ابن جني، ج ٢، ص ١٠.

كما أنّ الانعزال في قلب الصحراء وعدم الاتصال بالأمم المتحضرة لم يكن صحيحاً فلو كان صحيحاً لكانت قريش أبعد اللغات عن الفصاحة، وإنّ هذه القبائل المتروكة عربية أصيلة، وأنّها تملك من اللغة أضعاف ما تملكه القلة من القبائل المحصورة، وأنّه لا يعيبها أنّ تسكن الحضر أو أطراف البلاد وتقارب الأعاجم، لأنّها بحكم عربيتها الأصيلة تملك أنّ تنشئ الكلمات إنشاءً وتخترعها ابتداءً، بل لكل فرد منها كذلك^(١).

العامل الزمني:

بعد حديثنا عن عامل المكان في الصفحات السابقة، ورأينا ما فيه من تعسف في اقتصار الاحتجاج على قبائل معينة لأسباب لا تقنع، ننتقل في الحديث لنرى العنصر الثاني من عناصر الاحتجاج وهو الزمان، والمقصود به الفترة الزمنية التي كانت نهاية عصر الاحتجاج بالشعر.

قسّم العلماء الشعراء إلى أربعة أقسام هي:

– طبقة الجاهليين: وهم الذين قضا حياتهم في الجاهلية كامرئ القيس، وزهير....

– طبقة المخضرمين: وهم من أدركوا الجاهلية والإسلام، وليس شرطاً أن يكونوا قد أسلموا، كالأعشى، وحسان.....

– طبقة الإسلاميين: وهم الذين ولدوا بعد ظهور الإسلام كجرير، والفرزدق....

– طبقة المولدين أو المحدثين: وهم الذين جاءوا في العصر العباسي كبشار وأبي نواس، وأبي تمام، والبحثري...

(١) انظر على سبيل المثال: العربية بين أمسها وحاضرها، إبراهيم السامرائي / القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم / البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر / في نحو اللغة وتراكيبها، خليل عمارة.

ويبدو أن الإجماع بين اللغويين منعقد على صحة الاستشهاد بالطبقتين الأوليين، وأنّ خلافاً حول الطبقتين الأخيرين. أمّا الطبقة الثالثة - وهم الذين ولدوا بعد ظهور الإسلام - فنرى العلماء يختلفون في صحة الاحتجاج بهم أو عدمه، يقول الأصمعي: "جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي"^(١). وكان أبو عمرو بن العلاء يعدّ شعر الإسلاميين مؤلداً، لا يصح الاحتجاج به فقال: "لقد كثرت هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن أمر صبياننا بروايته"^(٢). وقد أجاز البغدادي الاستشهاد بهذه الطبقة، قال: "وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها"^(٣). أمّا الطبقة الرابعة فلا يستشهد بها عندهم.

وثمة خلاف كبير بين اللغويين في تحديد زمن محدد للاحتجاج، كما أنهم لا يجمعون على شاعر بعينه ليكون آخر من يحتج بشعره، قال السيوطي: "ختم الشعر بابن هرمة وهو آخر الحجج"^(٤). وقال الأصمعي: "ختم الشعر بابن هرمة"^(٥). وقال السيوطي: "أول الشعراء المحدثين بشار"^(٦). وورد في الأغاني قول الأصمعي: "ختم الشعر بابن هرمة، والحكم الخضري، وابن ميادة، وطفيل الكناني، ومكين العذري"^(٧). ويقول ابن الأعرابي: "ختم الشعر بابن هرمة"^(٨). من هنا نلاحظ وجود خلاف كبير في الطبقة الثالثة وخلاف أكبر منه في الطبقة الرابعة، ومردّد هذا الخلاف التفرقة بين البدو والحضر في الفصاحة، وامتداد عصر

(١) العمدة، ابن رشيقي القيرواني، ١/٩٠.

(٢) السابق، ١/٩٠.

(٣) خزائن الأدب، عبد القادر البغدادي، ج ١، ص ٤-٥.

(٤) الاقتراح، السيوطي، ص ٢٧.

(٥) السابق، ص ٢٦ / وانظر: العمدة، ١/٩٠.

(٦) السابق، ص ٧٠.

(٧) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ٤/٣٧٣.

(٨) السابق، ٤/٣٩٦.

هذه الطبقة، ثم غلبت الحضارة على شعراء هاتين الطبقتين. ولكن إلى أي مدى التزام النحاة تلك القواعد الزمنية التي وضعوها؟.

يبدو أنهم لم يتفقوا على تاريخ محدد ليكون فاصلاً بين من يصح الأخذ عنه والاحتجاج بشعره ومن لا يصح، كما أنهم لم يجمعوا على شاعر بعينه. فالفترة الزمنية محصورة بين ذي الرمة ت(١١٧هـ) وابن هرمة ت(١٧٦هـ). وهذا الاضطراب في عدم دقة التحديد الزمني يعدّ من نقاط الضعف والوهن في المنهج الذي سار عليه المقتنون. ومع هذا التحديد الصارم يبدو أنهم لم يلتزموا به مع اضطرابه أيضاً حتى ولو ذهبنا إلى مدّة الفترة إلى نهاية القرن الثاني لتكون الفترة الزمنية النهائية للاحتجاج، فإنهم مع ذلك قد تجاوزوا هذه الفترة عند التطبيق.

فالنظرية قائمة عندهم على تحديد زمني للأخذ به حجة - على خلاف بينهم في ذلك - وعند التطبيق نراهم قد تجاوزوا هذا التحديد، فقد استشهد كثير منهم بشعر بشار بن برد ت(١٦٨هـ). وبشار شهد له الأصمعي، وأبو عمرو بن العلاء، ونُسب إلى سيبويه أنه احتج بشعره قال السيوطي: "أول الشعراء المحدثين بشار بن برد، وقد احتج سيبويه في كتابه ببعض شعره تقريباً إليه، لأنه كان هجاءً". ويعلق يوهان فك على ذلك بقوله: "فإننا لا نجد اسم بشار في كتاب سيبويه، وإنّ هناك رواية أخرى مساوقة لهذه تضع اسم الأخفش النحوي بدلاً من سيبويه وهي في الأغاني" (١). فإننا لو استثنينا سيبويه بعدم صحة الرواية التي نسبت للاستشهاد بشعره فإنّ الأصمعي وأبا عمرو قد شهدا له، وكذلك نجد قائمة بأسماء النحاة الذين احتجوا بشعر بشار. وأيضاً نجد عدداً من الشعراء وعلى فترات مختلفة حتى القرن السادس الهجري قد احتج النحاة بأشعارهم في اللغة والنحو (٢).

(١) العربية، يوهان فك، ص ٥٢، والقصة موجودة في الأغاني، ٣/٥٤.

(٢) الاحتجاج بالشعر في اللغة النحو، محمد جبل، ص ١١١ وما بعدها. وانظر: شواهد النحو الشعرية، حنا

حداد، ص ٥٥ وما بعدها.

ويظهر من هذا أنّ النحاة لم يلتزموا بتلك الشروط التي وضعوها للاستشهاد الزماني، وقد أثّرت قضايا كثيرة حول الاستشهاد الزماني، وقد تبين عدم الالتزام بالنظرية في مجال التطبيق.

ومن القضايا التي أثّرت والتي يجب الوقوف عندها لمعرفة مدى صحتها:-

- لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله.

- إنّ ورود شواهد في كتب النحو واللغة لشعراء محدثين كان المقصود من هذه

الشواهد التمثيل وليس التقنين لقاعدة.

- سبب عدم الاحتجاج بشعر بعضهم كأبي نواس، لأنه يحمل الأرفاث.

- إنّ الشاعر الكاتب لا يحتج بشعره، لأنّ الكتابة دليل الحضارة.

- يستشهد بشعر المحدثين بالمعاني وليس بالألفاظ.

أمّا القضية الأولى - لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله - فهي

قضية أثارها ابن الأنباري تعليقاً على بيت من الشعر احتج به الكوفيون لجواز ظهور أن بعد كي :

أردت لكيما أن تطير بقربتي فتركها شناً ببذاء بلقع

قال ابن الأنباري راداً على الكوفيين: "البيت غير معروف، ولا يعرف قائله، فلا يكون حجة"^(١). ويعلل ذلك السيوطي بقوله: "وكأنّ علة ذلك خوف أن يكون لمولّد أو من لا يوثق بفصاحته، ومن هذا يعلم أنّه لا يحتاج إلى معرفة أسماء شعراء العرب وطبقاتهم"^(٢).

ويعلق محقق الإنصاف بقوله - مخاطباً ابن الأنباري -: "لا نرى لك أن تقرّ هذا لا في هذا الموضع ولا في غيره، ولا على لسان الكوفيين ولا البصريين، فكم من

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، ج٢، مسألة ٨٠.

(٢) الاقتراح، السيوطي، ص ٧١.

الشواهد التي يستدل بها هؤلاء وهؤلاء وهي غير منسوبة ولا سوابق لها أو لواحق، وفي كتاب سيبويه وحده خمسون بيتاً لم يُعثر لها على قائل بعد الجهد والعناء الشديدين" (١).

ويبدو أن كلام المحقق صحيح؛ لأنّ الجرمي يؤكد بقوله: "نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيها ألف وخمسون بيتاً، فأما الألف فعرفت أسماء قائلها فأثبتها وأما الخمسون فلم أعثر على أسماء قائلها" (٢). وهذا يؤكد أن في كتاب سيبويه أشعاراً لم تُنسب، وقد نسبها الجرمي بقوله عرفت أسماء قائلها فأثبتها. ويبدو أن سيبويه كره أن يذكر الشاعر وبعض الشعر يروي لشاعرين وبعضه مجهول لا يعرف قائله لقدم العهد به، وأما الأبيات المنسوبة فهي حادثة بعده اعتنى بنسبتها الجرمي (٣). فاللغويون يستشهدون بالشعر المجهول قائله ما دام يصدر عن ثقة يعتمد عليه.

وأما القضية الثانية - وهي ورود شواهد في كتب النحو واللغة لشعراء محدثين - فقد كان المقصود بها التمثيل وليس التقنين لقاعدة نحوية. وهي قضية أثارها البغدادي في الخزانة وذلك في معرض تعليقه على بيت أبي نواس:

غير مأسوف على زمن ينقضي بالهم والحزن

قال: هذا البيت لأبي نواس وهو ممن يستشهد بكلامه، وإنما أورده الشارح مثلاً للمسألة (٤).

والذي يظهر أننا بحاجة إلى استقصاء شامل في كتب النحو لاستخراج شواهد وأدلة تدعم هذا الرأي. والذي نراه أن هذه الشواهد إنما وردت في كتب النحو للتمثيل وليس لوضع قاعدة، ولو وضعت قاعدة لاختلف كثير من قواعد النحو.

(١) انظر: هامش ص ٥٨٣، ج ٢، مسألة ٨٠ من كتاب الإنصاف.

(٢) خزانة الأدب، البغدادي، ٨/١.

(٣) البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمرو، ص ٤٠.

(٤) خزانة الأدب، البغدادي، ٣٤٦/١.

وأما القضية الثالثة - وهي عدم الاحتجاج بشعر شاعر للأرفاث التي يحملها؛ بمعنى آخر لسبب خلقي. قال أبو عمرو الشيباني: "لولا أن أبا نواس أفسد شعره بما وضع فيه من الأقدار لاحتججنا بشعره"^(١). ويقول ابن خالويه: "لولا ما غلب عليه الهزل لاستشهد بشعره"^(٢). وهناك قول لابن السكيت يقول فيه: "إذا رويت الشعر عن امرئ القيس والأعشى من أهل الجاهلية، ومن الإسلاميين جرير والفرزدق، ومن المحدثين عن أبي نواس فحسبك"^(٣).

ويظهر من هذه الآراء أن اعترافاً واضحاً من هؤلاء جميعاً بفصاحة أبي نواس، لكن المانع عندهم أخلاقي. وبمناقشة هذه المسألة نقول: ماذا تقولون بامرئ القيس الذي كان أكثر فسقاً من أبي النواس؟ وماذا تقولون أيضاً بعمر بن أبي ربيعة الذي امتلأ شعره بالأرفاث وعصى الله بشعره حتى في الحج مكان العبادة؟. فلماذا استشهدتم بامرئ القيس وعمر وغيرهم من الشعراء الفساق، ولم تستشهدوا بأبي نواس وقد شهدتم له بالفصاحة؟! إنه لظلم كبير وتجن على الرجل عظيم.

وأما القضية الرابعة - فحرص علماء اللغة على أمية الشعراء أو من يأخذون عنهم اللغة للاحتجاج - وذلك لأن الأمية، في رأيهم، رمز البداوة والكتابة رمز التحضر، وحتى يكون الشاعر سليم الفطرة يجب أن يكون أمياً. روى الصولي: "قرأ حماد الراوية على ذي الرمة شعره قال: تراه قد ترك في الخط لأمّاً، فقال له ذو الرمة: اكتب لأمّاً. فقال حماد: وإنك لتكتب! قال: اكتب عليّ فإنه كان يأتي باديتنا خطاط فعلمنا الحروف تخطيماً في الرمال المقمرة فثبتت في قلبي ولم تخطها يدي"^(٤).

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢٢٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أدب الكتاب، الصولي، ص ٦٢ / وانظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج ١، ص ٥٢٥.

إنّ مثل هذه القصص حقيقة مرفوضة؛ لأنّها تسم العرب بالتخلف والجهل المطبق أولاً، وإنّ الواقع ينقضها ثانياً. فقد ذكر عن شعراء كثيرين يكتبون ويقرأون، منهم: عدي بن زيد العبادي الذي طرحه أبوه - حين أيفع - في الكتاب، حتى إذا حذق الخط العربي أرسله إلى كتاب الفارسية، فصار أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية، ثم انتقل إلى بلاد فارس، فأصبح كاتباً بالعربية ومترجماً في ديوان كسرى. ومن الشعراء الذين كانوا كاتباً بالعربية ومترجمين في بلاط فارس لقيط بن يعمر الإيادي الذي أرسل إلى قومه ينذرهم بعزم كسرى على قتالهم، وصحيفته في ذلك مشهورة ابتدأها بقوله:

سلام في الصحيفة من لقيط لمن بالجزيرة من إياد

وختمها بقوله:

هذا كتابي إليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا (١)

وأما القضية الأخيرة - أنه يستشهد بكلام المولدين في المعاني وليس في الألفاظ - فهي قضية أثارها ابن جني عندما احتج بكلام المتنبي قال: "ولا تستنكر ذكر هذا الرجل - وإن كان مولداً - في أثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه، ولطف متسرّبه؛ فإنّ المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون. وقد كان أبو العباس المبرد - وهو كثير التعقب لجلة الناس - احتج بشيء من شعر حبيب بن أوس الطائي في كتابه في الاشتقاق، لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه وإياك والحنبلية بحثاً، فإنها خلق ذميم، ومطعم على علاقته وخيم" (٢). ويتبع ابن جني في هذه القضية البغدادي في القرن الحادي عشر، ينقل كلام الرعيني الأندلسي وهو من علماء المئة الثامنة في شرح بديعية رفيقة ابن جابر، قال الرعيني: "علوم الأدب

(١) لمزيد من التفصيل حول قضية الكتابة في العصر الجاهلي انظر: مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين

الأسد، ص ١١٣ وما بعدها.

(٢) الخصائص، ابن جني، ٢٤/١ - ٢٥.

سته: اللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع؛ والثلاثة الأولى لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب - القدماء - دون الثلاثة الأخيرة، فإنه يستشهد عليها بكلام المولدين، لأنها راجعة إلى المعاني ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع إلى العقل، ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحثري وأبي تمام وأبي الطيب وهلم جرا^(١).

ويبدو أن هذه الظاهرة ظاهرة التفرقة بين من يحتج بشعره ومن لا يحتج بأشعارهم متفق عليها ضمناً حتى نهاية القرن الثاني. أما بعد ذلك فهو - كما عللها المتأخرون - احتجاج بالمعنى وليس في اللفظ أو لتقنين قاعدة، ولكن وضع شرط لذلك وهو عدم التوسع بل يحتج في المعاني من يوثق به في الاحتجاج ولا يترك الحبل على غاربه^(٢).

بعد هذه المناقشة للبعدين الزماني والمكاني يظهر أنه لم يصلنا من أقوال اللغويين والنحويين القدماء نص صريح على تحديد تاريخ معين ليكون نهاية لفترة الاستشهاد، كما أنهم لم يتفقوا على شاعر بعينه ليكون آخر من يحتج بهم، فهم قد وضعوا شروطاً نظرية لذلك، ولكنهم عند التطبيق لم يلتزموا بهذه الشروط بل تجاوزوها، فأرناهم قد احتجوا بشعراء من قرون مختلفة.

والذي يظهر أنه لا يجوز أن نقف بالاستشهاد عند حد معين من حيث الزمان والمكان؛ لأنه تستجد صيغ وتراكيب جديدة مع تقدم الزمن، والاحتجاج بمن يوثق بفصاحة من يحتج بلغته ولو كان من سكان الحضر أو البادية ما دام محافظاً على سلامة لغته، يقول ابن جني: "ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر. وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاض

(١) الخزانة، البغدادي، ٥/١.

(٢) انظر: الاقتراح، السيوطي، ص ٧٠. الخزانة، البغدادي ٦/١.

عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها. وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا؛ لأننا لا نكاد نرى بدوياً فصيحاً. وإن نحن آتسنا منه فصاحة في كلامه، لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدم فيه، ويغض منه" (١).

ونعرف كذلك أن كثيراً من الأعراب كانوا يقدون إلى الحواضر وينقل عنهم اللغويون، أصبحوا يتاجرون بلغتهم عن طرق المباهاة بكثرة المعرفة كي تروج بضاعتهم، فقد ضاق رؤبة بيونس بن حبيب فقال له: "حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل وأزوقها لك أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك". وإذا ذهبنا نتتبع الأعراب لذين لم تفسد لغتهم في أماكن مكثهم في الحواضر لكانوا خلقاً كثيراً (٢). ولم لا يكون المحدثون أحرص على العربية من أبناء العرب أنفسهم "يحدوهم إلى ذلك رغبة ملحة في التساوي بأولئك الأبناء الذين حملوا إليهم الدين الجديد الذي ارتضوه، وفي أن يثبتوا أنهم ليسوا أقل قدرة على فهمه والتفقه فيه باللسان الذي نزل به، إذا أدخلنا في حسابنا أن لسان الدولة الرسمي هو العربي، والوسيلة للتقرب إلى الله هي العربية وهي الحامل للفكر الإنساني الصادر عن أبناء تلك البيئة مهما كانت جنسياتهم" (٣). وما سيبويه منا ببعيد، فقد أخطأ في كلمة فعوتب في ذلك فقال: لاجرم، سأطلب علماً لا تلحنني فيه فلزم الخليل فبرع (٤).

هذه القضية قضية - تحديد الزمان والمكان - نادى كثير من المعاصرين بقولهم عدم الاقتصار في استقرار المادة اللغوية على عصر زمني محدد، كما لا يجوز تحديدها في مكان محدد (٥).

(١) الخصائص، ابن جني، ٥/٢.

(٢) انظر: رواية اللغة، الشلقاني، ٦٣-٧٩، ص ١٦٨ وما بعدها.

(٣) المنطلقات التأسيسية والفنية في النحو العربي، عفيف دمشقية، ص ٨٥.

(٤) الكتاب، سيبويه، ٧/١.

(٥) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، عبده الرجحي / اللغة العربية وبعض مشكلاتها، أنيس فريحة / اللغة بين القديم والحديث، عباس حسن / في نحو اللغة وتراكيبها، خليل عمارة / العربية بين أمسها وحاضرها، إبراهيم السامرائي.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، عز الدين، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد.
- ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث، دار إحياء التراث، بيروت.
- الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، مكتبة الانجلو المصرية.
- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار صعب، بيروت، مصورة عن طبعة بولاق.
- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين، الإنصاف في مسائل الخلاف، تخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تخ إبراهيم السامرائي، ط ١، مطبعة المنار الزرقاء، ١٩٨٦ م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار إحياء التراث، بيروت.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تخ عبدالسلام هارون، الهيئة العامة المصرية، ١٩٧٩ م.
- الجراحي، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما انتهى من الأحاديث على ألسنة الناس، ط ٣، دار إحياء التراث، بيروت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، دار الهدى للنشر، بيروت، تخ محمد علي النجار.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تذكرة النحاة، تخ عفيف عبد الرحمن، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦ م.
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تخ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٧٣ م.

- السخاوي، شمس الدين، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تخ عبد الله محمد الصديق، دار الكتب، بيروت.
- ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الاقتراح، تخ أحمد قاسم، ط ١، مطبعة السعادة، سوريا، ١٩٧٦م.
- شرح شواهد المغني، منشورات مكتبة الحياة بيروت، تخ لجنة التراث.
- المزهري في علوم العربية، تخ أحمد جاد المولى وعلي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر.
- الصولي، أبو بكر، أدب الكتب العلمية، بيروت، تعليق محمد الأثري.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تخ حمدي عبد الحميد.
- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن يعقوب، ديوان الأدب، تخ أحمد مختار عمر، القاهرة، ١٩٧٤م.
- الفارابي، أبو نصر، الحروف، تخ محسن مهدي، دار المشرق بيروت، ١٩٧٠م.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا، الصحاحي في فقه اللغة، تخ مصطفى الشومبي، مؤسسة بدران، بيروت، ١٩٦٣م.
- معجم مقاييس اللغة، تخ عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي مصر، ١٩٦٩م.
- القاضي عياض اليعصبي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار التراث.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تخ أحمد محمد شاكر، ط ٢، دار المعارف مصر، ١٩٨٥م.
- القيرواني، ابن رشيق، العمدة، تخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ١٩٧٢م.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي النحوي، شواهد التوضيح

والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تخ محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار
العروبة القاهرة.

- مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت.
- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر.
- ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب، الفهرس، تخ رضا تجدد.
- ابن هشام الأنصاري، محمد بن عبد الله، مغني اللبيب، تخ محمد محيي الدين
عبد الحميد، دار إحياء التراث - بيروت.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الفوائد ومنبع الزوائد، دار الكتاب
العربي، بيروت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت،
١٩٧٠م.

ثانياً: المراجع:

- إبراهيم السامرائي، العربية بين أمسها وحاضرها، منشورات وزارة الثقافة
والفنون، العراق، ١٩٧٨م.
- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط ٤، عالم الكتب، ١٩٨٢م.
- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد.
- حسن الشاعر، النحاة والحديث النبوي الشريف، ط ١، وزارة الثقافة والشباب،
١٩٨٠م.
- حنا حداد، شواهد النحو الشعرية منهجها ومصادرها، رسالة دكتوراه، ١٩٧٥م،
القاهرة (مخطوط).
- خليل عميرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ط ١، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٤م.

- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
- سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥١م.
- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط ١٠، دار المعارف، مصر.
- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط ٩، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٨١م.
- طه حسين، في الأدب الجاهلي، ط ٨، دار المعارف، مصر.
- عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف، مصر.
- عبد الحميد الشلقاني، رواية اللغة، دار المعارف، مصر، القاهرة.
- عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، دار المعارف، مصر.
- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٢م.
- عفيف دمشقية، المنطلقات التأسيسية في النحو العربي، ط ١، بيروت، ١٩٧٨م.
- علي الحمد وآخرون، المعجم الوافي في النحو العربي، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٨٤م.
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بغداد.
- غالب فاضل المطلبي، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٧٨م.
- محمد جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة، الواقع ودلالته، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٦م.
- محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الباز للنشر، مكة المكرمة.
- محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، المكتبة العلمية. د.ت.
- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط ٤، ١٩٧٤م.
- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ط ٥، دار المعارف، مصر.
- يوهان فك، العربية، ترجمة عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥١م.